

﴿رَبَّنَا وَعَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ

لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: 194]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا عَرَضَ لَنَا بَيَانُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، تَتَمَّةُ أَدْعِيَةِ أُولِي الْأَلْبَابِ، خَتَمَهَا بِدَعَائِهِمُ الَّذِي يَرْجُونَ فِيهِ مِنْ رَبِّهِمْ، أَنْ يُنْجِزَ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ مِنَ النَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ الْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، "لَقَدْ تَرَقَّوْا فِي الطَّلَبِ، فَانْتَقِلُوا مِنْ طَلَبِ الْغُفْرَانِ، إِلَى طَلَبِ الثَّوَابِ، فَمَعْنَى النَّصِ الْكَرِيمِ: أَعْطِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَا وَعَدْتَنَا بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ الْأَكْرَمِينَ، وَقَدْ أَخْرَوْا ذَلِكَ، لَشُعُورِهِمْ بِهِفَوَاتِهِمْ، أَكْثَرَ مِنْ شُعُورِهِمْ بِحَسَنَاتِهِمْ الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا الثَّوَابَ" (1).

وَعَدَ اللَّهُ صَدَقَ
لَا يُغَيِّرُ، وَمِيقَاتُ
لَا يُخَوِّرُ؛ لِأَنَّهُ لَا
يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾: الْوَعْدُ: يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ بِنَفْعٍ وَضُرٍّ، وَالْوَعِيدُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الشَّرِّ خَاصَّةً، يُقَالُ مِنْهُ: أَوْعَدْتُهُ، وَيُقَالُ: وَاعَدْتُهُ وَتَوَاعَدْنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: 22]، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْوَعِيدِ بِالشَّرِّ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: 47]، وَكَانُوا إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَهُ بِالْعَذَابِ، وَذَلِكَ وَعِيدٌ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [لق: 45]، وَمِمَّا يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَيْنِ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: 55]، فَهَذَا وَعْدٌ بِالْقِيَامَةِ، وَجَزَاءِ الْعِبَادِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، وَالْمَوْعِدُ، وَالْمِيعَادُ يَكُونَانِ مَصْدَرًا وَاسْمًا،

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1551.

قال تعالى: ﴿فَجَعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ [طه: 58]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبا: 34]، وقال تعالى في الآية قيد التفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾⁽¹⁾.

(2) ﴿لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: الخلفُ: المخالفةُ في الوعدِ، يُقال: وَعَدَنِي فَأَخْلَفَنِي؛ أي: خالفَ في الميعاد؛ كما قال تعالى: ﴿يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: 77]، وكما في الآية التي معنا: ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، ومعناها: "أنك قد وعدت من آمن بك ووحدك: الجنة في الآخرة، والنصر في الدنيا على أعدائك"⁽²⁾، قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: "تعليلٌ لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء، وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الصراحة والابتهال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد، بل لخوفهم من أن لا يكونوا من جملة الموعودين بتغيير الحال، وسوء الخاتمة والمآل، فمرجعها إلى الدعاء بالتثبيت، أو للمبالغة في التعبد والخشوع، والميعاد الوعد، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه البعث بعد الموت"⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿الْمِيعَادَ﴾، تقدم بيانه أنفاً في شرح قوله: ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾، وتبين لنا أنه مصدرٌ واسمٌ للفعل (وَعَدَ)، وقوله في الآية: "﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، أو ميعاد البعث والحساب"⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

الدَّعَاءُ
بِتَحْقِيقِ الْوَعْدِ
بِالرِّضْوَانِ
وَالْتَّنْعَمِ
بِالْخُلُودِ فِي
الْجَنَانِ

لَمَّا ذَكَرَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ الذَّكِيَّةِ، تَوَفَّقَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ لِلإِيمَانِ، وَتَوَسَّلَهُمْ بِهِ إِلَى تَمَامِ النِّعْمَةِ، سَأَلُوهُ تَعَالَى الثَّوَابَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ يُنْجِزَ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ مِنَ النَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ وَالظُّهُورِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ الْفَوْزِ بِرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ (ﷺ) لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَضْلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً وَرَحْمَةً⁽⁵⁾، ومعنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾: أي نسألك يا ربنا، أن

(1) الرَّاغِب، المفردات، ص: 875 - 876.

(2) مكي بن أبي طالب، الهداية: 2/1205.

(3) أبو السَّعُود، إرشادُ العَقْلِ السَّلِيم: 2/132.

(4) ابن عَجِيبة، البحر اللدِيد: 1/451.

(5) السَّعُودِي، تيسير الكريم الرَّحْمَن، ص: 122.

تعطيناً وتمنحنا بعد وفاتنا، وحين قيامنا من قبورنا يوم القيامة، ما وعدتنا به من ثوابٍ، في مقابل تصديقنا لرسلك، وطاعتنا لهم، واستجابتنا لأوامرهم ونواهيهم، ولا تذللنا ولا تفضحنا يوم المحشرِ على رؤوسِ الأَشْهاد، إِنَّكَ - سبحانه - لا تخلفُ وعدَكَ الَّذي وعدته لعبادِكَ الصَّالحينَ“⁽¹⁾.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغِيُّ:

نكتةُ تكريرِ النِّداءِ:

في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَعَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾: تكريرِ النِّداءِ للتَّضَرُّعِ، ولإظهارِ كمالِ الخُضُوعِ؛ أي: أعطنا ما وعدتنا على أَسْنةِ رسلك، وهي الجَنَّةُ لمن أطاع، ففي إظهارِ ضراعتهم وابتهالهم لربِّهم بتكريرِ النِّداءِ؛ طَلَبُ اسْتِجَابَةِ دَعْوَتِهِمْ وتحقيقِ رَغْبَتِهِمْ⁽²⁾.

تكريرِ النِّداءِ
للتَّضَرُّعِ،
ولإظهارِ كمالِ
الخُضُوعِ

توجيه إيراد القول حكايةً لدعاءٍ متقدِّم:

وفي قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَعَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ حكايةً لدعاءٍ آخرَ لهم مَسْبُوقٌ بما قبله معطوفٌ عليه، لتأخُّرِ التَّحْلِيلَةِ عن التَّخْلِيلَةِ⁽³⁾، والمرادُ بالموعودِ أمران: الأوَّلُ: الثَّوَابُ، والثَّانِي: النُّصْرَةُ على الأعداء⁽⁴⁾، وكلاهما مجتمِعٌ لهما بفضلِ الله، وفي معنى هذه الآية يقول ابن عطية: ”هذه الآياتُ حكايةٌ عن أولي الألباب، أنَّهم يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾، قال أبو الدرداء: يرحمُ الله المؤمنين ما زالوا يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ ﴿رَبَّنَا﴾، حتَّى استجيبَ لهم“⁽⁵⁾.

إيرادُ القول
حكايةً لدعاءٍ
متقدِّمٍ معطوفٍ
عليه هذا
الدِّعاء، من باب
تأخُّرِ التَّحْلِيلَةِ
عن التَّخْلِيلَةِ

قال ابن عاشور: ”وقد ابتدؤوا دعاءهم وخللوه بنداؤه تعالى

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 2/375، (بتصرف).

(2) أبو السعود، إرشادُ العَقْلِ السليم: 2/132.

(3) أبو السعود، إرشادُ العَقْلِ السليم: 2/132.

(4) الزَّمَخْشَرِي، الكُشَاف: 1/489.

(5) ابن عطية، المحرَّرُ الوجيز: 1/556.

في الحكاية
لدعاء آخر
بتكرار النداء
خمس مرات،
إظهاراً للحاجة
إلى إقبال الله
عليهم

دعاء المؤمنين
بأن يؤتيهم الله
ما وعدهم من
الكرامة على
ألسن رسله

أُوْتِرَ جَمْعُ
الرسل على
إفراده إظهاراً
لكمال الثقة
بإنجاز الوعود

علّة التأكيد
والتعليل الدعاء
بالتثبيت،
والبالغة
في التعبد
والخشوع

خمس مرّاتٍ، إظهاراً للحاجة إلى إقبال الله عليهم، وعن جعفر بن محمد عليه السلام: "مَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ خَمْسَ مَرَّاتٍ، أَنْجَاهُ اللَّهُ مِمَّا يَخَافُ وَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ"⁽¹⁾.

دلالة حرف الجرّ ﴿عَلَى﴾:

و﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَعَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ صلة للوعد؛ كما يُقال: وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ، والمعنى: ما وعدتنا على تصديق رُسُلِكَ، أَلَا نَرَاهُ كَيْفَ أَتَبَعَ ذَكَرَ الْمُنَادِي لِلْإِيمَانِ، وهو الرُّسُولُ عليه السلام بقوله: ﴿ءَامِنًا﴾ وهو التَّصْدِيقُ!! ويمكن أن تكون ﴿عَلَى﴾ متعلقةً بمحذوفٍ وقع صفةً لمصدرٍ مُؤَكَّدٍ محذوفٍ؛ أي: وَعَدْتَنَا وَعَدًا كَائِنًا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ، ويمكن أن يكون التَّقْدِيرُ: مُنْزَلًا عَلَى رُسُلِكَ، أو محمولاً على رُسُلِكَ؛ لأنَّ الرُّسُلَ مُحْمَلُونَ ذَلِكَ، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ [النور: 54].

إيثار الجمع على الأفراد في قوله: ﴿رُسُلِكَ﴾:

في قوله تعالى ﴿رُسُلِكَ﴾: إيثارُ الجمع على الأفراد، لإظهار كمال الثقة، بإنجاز الموعد بناءً على كثرة الشُّهُود⁽²⁾.

بلغة التأكيد والتعليل في الفاصلة:

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ تأكيدٌ وتعليلٌ، لتحقيق ما نَظَّمُوا فِي سِلْكِ الدُّعَاءِ، وهذه الدَّعَوَاتُ وما فِي تَضَاعِيفِهَا مِنْ كَمَالِ الضَّرَاعَةِ وَالِابْتِهَالِ، لَيْسَتْ لَخَوْفِهِمْ مِنْ إِخْلَافِ الْمِيعَادِ؛ بَلْ لَخَوْفِهِمْ مِنْ أَلَّا يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ الْمَوْجُودِينَ بِتَغْيِيرِ الْحَالِ وَسُوءِ الْخَاتِمَةِ وَالْمَالِ، فَمَرَجَّعُهَا إِلَى الدُّعَاءِ بِالتَّثْبِيتِ، أَوْ لِلْمِبَالِغَةِ فِي التَّعَبُّدِ وَالْخُشُوعِ⁽³⁾.

(1) ابنُ عاشور، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/202.

(2) أبو السعود، إرشادُ العَقْلِ السَّلِيمِ: 2/132.

(3) أبو السعود، إرشادُ العَقْلِ السَّلِيمِ: 2/133.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 6، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-58-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 6: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-58-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»